مقدمـــة

أتيح لى أن ألمس عن قرب شديد مدى أهمية قياس الرأى العام ودراسته، والمردود الايجابى الذى يتحقق من خلال الاحاطة باتجاهات الرأى العام وسبر أغواره فى مختلف القضايا ، والذى ينعكس فى اتخاذ أفضل القرارات ، وفى ترشيد الأداء ، ودعم الديمقراطية سواء على صعيد العمل السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى أو الادارى .

ففى بداية الثمانينات – بعد أن قمت باجراء عدد كبير من البحوث الميدانية والتحليلية فى مجال الرأى العام فى مصر وفى بعض الدول العربية – كلفت باجراء **دراسة لانشاء أول مركز أكاديمى لدراسة الرأى العام فى مصر بجامعة القاهرة كأحد المراكز البحثية المتخصصة فيها** ، وقد أسفرت هذه الدراسة – التى خضعت للكثير من التقييم والمراجعات – إلى انشاء هذا المركز تحت مسمى « مركز بحوث الرأى العام » فى شهر أغسطس ١٩٨٢ وتم اختيارى مديرا لهذا المركز لمدة ثلاث سنوات حتى أغسطس ١٩٨٥ ، حيث قام المركز خلال هذه الفترة باجراء مجموعة متنوعة من الدراسات تلبية لطلبات بعض الجهات المعنية بدراسة الرأى العام نحو سياساتها وأنشطتها ، ويواصل هذا المركز بنجاح حتى الآن أنشطته البحثية كأحد الأجهزة الأكاديمية المتخصصة فى قياس الرأى العام فى مصر.

ومنذ أواسط الثمانينات حينما انتقلت للعمل أستاذا بجامعة الامام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية خضت تجارب بحثية أخرى فى مجال قياس الرأى العام بالنسبة للمؤسسات الاعلامية فى المملكة العربية السعودية، حيث قمت باجراء إحدى عشرة دراسة للشركة السعودية للأبحاث والنشر عن اتجاهات جمهور القراء ووكلاء التوزيع وقادة الرأى فى جميع الدول العربية فى إصدارات الشركة المتمثلة فى جريدة الشرق الأوسط ، ومجلة المجلة ، ومجلة سيدتى ، وجريدة المسلمون ، وقد كان لنتائج هذه الدراسات أثرا كبيرا فى تطوير بعض السياسات التحريرية والاعلانية والتسويقية باصدارات الشركة ، بخلاف ماقمت باجرائه من دراسات ميدانية وتحليلية متنوعة فى قضايا تدخل فى صميم دراسات الرأى العام.

وبعد عودتى إلى جامعة القاهرة فى بداية التسعينات قمت أيضا باجراء عدة دراسات والاشراف على عدة بحوث ورسائل جامعية تتصل قضاياها باهتمامات الرأى العام .

وحينما انتقلت عام ١٩٩٥ للعمل أستاذاً بجامعة الكويت أحسست من خلال مشاركتى فى بعض الندوات والمؤتمرات العلمية والدورات التدريبية ، ومن خلال مطالعاتى المستمرة للصحف الكويتية بمدى الحاجة إلى إجراء دراسات مستمرة عن الرأى العام واتجاهاته ، خاصة وأن الصحف الكويتية تعكس يوميا العديد من القضايا التى تشغل الرأى العام ، مما يستوجب متابعة هذا الطرح الاعلامى متابعة علمية مستمرة من خلال التوظيف الفعال لبحوث الرأى العام ودراساته.

وقد تبين لى من خلال هذه الخبرة البحثية فى دراسات الرأى العام - سواء فى مصر أو فى بعض الدول العربية - أنه على الرغم من إدراك أهمية قياس الرأى العام إلا أن الاتجاه إلى هذا القياس لايلقى الاهتمام أو التأييد الكافى الذى يتوازى مع أهمية قياس الرأى العام ومردوده الايجابى ، مما يؤكد أن الحاجة لاتزال ماسة إلى تنظيم جهد علمى وتطبيقى فى اتجاه تكوين ودعم مراكز وأنشطة استطلاعات الرأى العام وقياساته وبحوثه فى الدول العربية.

وفى هذا الإطار يجب التأكيد على ضرورة وجود سياسة وطنية واضحة لقياس الرأى العام ، تأسيسا على أن هذا القياس مسألة سياسية وحضارية بالدرجة الأولى مرتبطة ارتباطاً مباشراً بدرجة تقدم المجتمع وبازدياد اتجاه النظام السياسى صوب الديمقراطية، وعلى ضرورة الاهتمام بالرأى العام فى كافة المجالات بدلا من تجاهله وافتراض الاحاطة به دون قياس علمى ، فى نفس الوقت الذى تتاح فيه الامكانيات المادية والتكنولوچية وتتوافر فيه الكفاءات والخبرات البشرية بدرجة عالية تسمح بامكانية القيام باستطلاعات الرأى العام بطريقة كفأة ودقيقة.

من جهة أخرى نجد أن الاهتمام العالمى الجدى والتناول العلمى للرأى العام بدأ منذ أوائل ثلاثينات هذا القرن ، وبمضى السنوات وتوالى الجهود العلمية والتطبيقية فى مجال دراسات الرأى العام ، تراكمت حصيلة كبيرة ومتنوعة من الخبرة العلمية والتطبيقية فى هذا المجال ، أصبح من الميسور السحب على رصيدها لدى العديد من دول العالم ، لاسيما الدول المتقدمة وذات الأنظمة الديمقراطية .

وهكذا ، وبمرور الوقت ، وبتزايد حصيلة المعرفة والخبرة أصبحت «دراسات الرأى العام» تحتل مكانا مرموقا فى معظم دول العالم، على الرغم من الاختلافات السياسية والنظم الدولية ، وذلك على مستوى النظرية والتطبيق ، فى إطار الاهتمام بالرأى العام.

فالرأى العام - كعلم - أصبحت له نظرياته وفلسفاته وتقنياته المختلفة ، واستخداماته فى النظم السياسية المتنوعة ، وأساليب قياسه وتوجيهه ، وأصبح من المواد الأساسية التى تدرس فى العلوم الاجتماعية والاعلامية بمجالاتها المختلفة فى كافة الجامعات فى العالم ، واتجهت بعض الدول إلى انشاء معاهد علمية مستقلة بالجامعات متخصصة فى تدريس الرأى العام والعلوم المتصلة به، وهو مايعكس الاهتمام الأكاديمى بهذا العلم ، والرغبة فى تطويره علميا وتخريج اخصائيين على مستوى عال من التأهيل فى مجالاته وفروعه المختلفة.

أما على مستوى الممارسة والتطبيق ، فقد بدأت كافة الحكومات ، والتنظيمات السياسية، والأحزاب فى كافة الدول بالاهتمام بدراسة الرأى العام حول مجموعات القضايا المختلفة التى تستأثر باهتمامها وتعمل على معالجتها على أسس موضوعية ، هذا فضلا عن الاهتمام بالرأى العام لدى كافة المنظمات الدولية أو الاقليمية أو الوطنية ، ولدى العديد من المنشئات فى القطاعات المختلفة داخل كل دولة ، كالأجهزة الحكومية والمؤسسات والشركات وأجهزة الحكم المحلى وغيرها من الأجهزة التى تتعامل مع فئات متنوعة من الجماهير يهمها أن تتعرف على آرائها واتجاهاتها فيما تقدمه من خدمات أو انتاج.

وقد انعكس هذا الاهتمام فى اتجاه معظم الدول إلى انشاء مراكز ومعاهد ومؤسسات لقياس الرأى العام ودراسته ، وفى تعدد هذه المعاهد والمراكز داخل

الدولة الواحدة نظرا لحاجة منظمات وهيئات متعددة فيها لقياس الرأى العام كالهيئات الحكومية ، والشركات ، والمنظمات الاعلامية، والسياسية، والأحزاب .

ويدخل الرأى العام - كظاهرة متغيرة - فى دائرة اهتمام عديد من التخصصات ، مما قد يؤدى إلى احتمال وجود تعارض أو تضاد - أحيانا - فى حصيلة النتائج التى تنتهى إليها بعض الدراسات المتنوعة التى تجرى فى مجاله بالتركيز على مدخل معين من المداخل المختلفة لكل تخصص ، إلا أن هذا التعدد يفيد إفادة هائلة فى إعطاء أبعاد متنوعة - ومتكاملة فى نفس الوقت - للظاهرة المطلوب دراستها ، ويتيح فرصة التمايز والتنوع بين النتائج الذى يؤدى إلى الوقوف على كافة المتغيرات والعوامل المؤثرة فى الرأى العام.

وهكذا يمكن دراسة الرأى العام من جوانب متعددة ، وباستخدام مداخل مختلفة، ولكننا سنركز فى هذا الكتاب على بعض جوانب دراسة الرأى العام التى تمس القضايا والمتغيرات الاعلامية والاجتماعية والسلوكية، وتتصل فى نفس الوقت بالجوانب المنهجية فى قياسه.

وينقسم هذا الكتاب إلى قسمين ، يركز القسم الأول فيهما على الجوانب الخاصة بتعريفات الرأى العام ، ومفاهيمه ، وخصائصه ، وأنواعه ، ومراحل تكوينه ، وأهمية قياسه ، بينما يركز القسم الثانى على الجوانب المنهجية فى قياس الرأى العام ودراسته وأدوات هذا القياس وأساليبه.

وهذا الكتاب فى طبعته الأولى هذه تطوير للمذكرات التى قمت باعدادها وتدريسها منذ أواسط السبعينات ، وقد استعنت فيه بالعديد من المراجع الأجنبية والعربية فى موضوعات الاعلام ، والاتصال ، والرأى العام ، ومناهج البحث ،

والعلاقات العامة ، والبحوث الاعلامية ، وأرجو أن يحقق الأهداف العلمية المبتغاة من إصداره إلى جانب المؤلفات الأخرى الموجودة فى نفس الموضوع .

واتطلع أن تشهد السنوات القادمة تغييرا إيجابيا واهتماما متزايدا بدراسة الرأى العام ، وأن تشهد المكتبة العربية مزيدا من البحوث والدراسات والمؤلفات المتجددة فى موضوع الرأى العام والقضايا المتصلة به .

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل

٤ أكتوبر ١٩٩٦ **الدكتور سمير محمد حسين**